

أسلوب الحوار في سورة مريم

أ / نزيهة رويينة

جامعة محمد خيضر - بسكرة -

Le résumé

Le coran a tenu une place très importante parmi les recherches des linguistes et des rethorses. Il est un phénomène dans histoire de la langue arabe. s adresse a la nation arabe a travers le prophète « Mohamed » pour l organiser. il s agit d un livre qui contient un discours vaste et complète. ne ressemble au discours humain soit: la poésie ou la prose.

Il est encore un discours qui se base sur le dialogue qui est un moyen de communication entre les prophètes et leurs peuples de différentes religions et parmi les sujets les plus poses dans le coran. on trouve la discussion concernant la croyance au seul dieu. Cette discussions est exprimée par le dialogue trouve dans beaucoup de situations dans le coran dont « suret Meryem » est un bon exemple.

الملخص:

لقد تبوأ القرآن الكريم مكان الصدارة عند أرباب اللغة والبيان؛ لذا عد أهم حدث في تاريخ اللغة العربية نزل وحيا على نبي الهدى ليخاطب العرب ولتكون الأمة المتلقية للتشريع والناشدة له أمة قد سلمت من أفن الرأي عند المجادلة.

إنه أوسع كتاب على الأرض يحتوي على أوسع وأشمل خطاب رباني صادر من الله خالق كل شيء لنا تنزه عن أن يشبه أي خطاب بشري شعرا أو نثرا. كما يعد القرآن الكريم كله كتاب حوار مع أهل الكتاب والمشركون ومختلف أهل الملل والنحل ولم يكن الحوار في القرآن الكريم دائما بين البشر كما هو مألوف بل اشتركت فيه مصادر أخرى. ومن أبرز محاور الجدل التي تحدث عنها القرآن وفصل في ذكرها سواء إيجابا أو إطنابا إجمالا أو تفصيلا ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من جدل ومناقشات تتعلق بالعقيدة الصحيحة المتمثلة في عبادة الله وإفراده بالعبودية وليبينوا للناس طرق الخير وسبل السعادة في الدارين الدنيا والآخرة وكانت سورة مريم من بين السور التي غطى الحوار مساحات كبيرة فيها.

تمهيد:

بعث الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه و سلم بدين الإسلام وجعل معجزته القرآن الكريم وهي المعجزة اللغوية الوحيدة من بين معجزات الرسل (عليهم السلام) وقد تبوأ القرآن الكريم مكان الصدارة عند أرباب اللغة والبيان؛ لذا عده الباحثون أهم حدث في تاريخ اللغة العربية. نزل وحياً على نبي الهدى ليخاطب العرب أولاً إذ اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهرًا لوحيه ومستودعًا لمواده وأن يكون العرب هم المتلقين أولاً لشرعه وإبلاغ مراده بحكمة علمها؛ منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً وأكثرها حملاً للمعاني مع إيجاز لفظه ولتكون لأمة المتلقية للتشريع والناشدة له أمة قد سلمت من أفن الرأي عند المجادلة⁽¹⁾ ومن ثم يخاطب الإنسان في كل زمان وفي كل مكان لكون الإسلام يصلح لكل زمان ومكان؛ لذا جاء الخطاب واضحاً لا يجد العقل والإدراك صعوبة في فهمه وتلقيه والإيمان به.

إنه أوسع كتاب على الأرض يحتوي على أوسع وأشمل خطاب على الأرض. خطاب رباني صادر من الله خالق كل شيء؛ لذا تنزه عن أن يشبهه أي خطاب بشري شعراً أو نثراً فكان معجزاً لا يجاريه أرباب البيان من فحول الشعراء والخطباء العرب.

كما يعد القرآن الكريم كله كتاب حوار مع أهل الكتاب والمشركين ومختلف أهل الملل والنحل وليس من قبيل الصدفة أن يغطي الحوار تلك المساحات الكبيرة من كتاب الله العزيز وهذه من خصائصه الإعجازية؛ لأنه نزل في مرحلة من مراحل التاريخ البشري حيث العصبية الفاحشة والتطاحن القبلية والحمية الجاهلية التي لا تعرف شيئاً اسمه الحوار مع الآخر وحماية حقه في التعبير عن رأيه خصوصاً إذا كان هذا الآخر مخالفاً غير مؤتلف⁽²⁾.

ولم يكن الحوار في القرآن الكريم دائماً بين البشر كما هو المؤلف في القصص البشري؛ بل اشتركت فيه مصادر أخرى فمن الحوارات ما كان بين الله والملائكة ولقد امتد الحوار

واتصل مع إبليس الذي ملأ قلبه الحقد والغرور والكبر فأبى أن يكون مع الملائكة المقربين الذين سجدوا لآدم حينما أمرهم بذلك رب العالمين.

ولكون الجدل من طبائع الإنسان التي فطر عليها أفره القرآن الكريم إلا أنه قيد هذا الجدل بالوجهة الصحيحة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁽³⁾.

ومن أبرز محاور الجدل التي تحدث عنها القرآن الكريم وفصل في ذكرها سواء إيجازاً أو إطناباً. إجمالاً أو تفصيلاً ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من جدل ومناقشات تتعلق بالعقيدة الصحيحة المتمثلة في عبادة الله وإفراده بالعبودية وليبينوا للناس طرق الخير وسبل السعادة في الدارين الدنيا والآخرة ولقد استخدم الرسل عليهم السلام أسلوب الحوار في دعوتهم أقوامهم لما لهذا الأسلوب من نتائج طيبة وكان الأنبياء عامة في حوارهم مع أقوامهم ينجحون إلى الرفق في الخطاب واللين في القول ولقد قدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار وفي العديد من السور ولعله قد وقع اختيارنا على سورة مريم.

1- بين يدي سورة مريم

اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم وهو الاسم المشهور به ورويت هذه التسمية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو مريم الغساني قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ولدت لي الليلة جارية فقال والليلة أنزلت عليّ سورة مريم سمها مريم»⁽⁴⁾.

و لقد سميت سورة مريم بهذه التسمية تخليداً لتلك المعجزة الباهرة في خلق إنسان بلا أب ثم إنطاق الله للولد وهو طفل في المهد وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام.⁽⁵⁾

وسورة مريم سورة مكية على القول الصحيح نزلت بعد فاطر وعدد آياتها ثمان وتسعون آية وكشأن السور المكية يدور سياقها على محور التوحيد ونفي الولد والشريك ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد والقصص هو مادة هذه السورة ويستغرق قرابة ثلثي السورة ويرى ابن عاشور «أنها قد نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة وذكر اسم «الرحمة» أربع مرات فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن والرد على المشركين الذين تععدوا بإنكار هذا الوصف»⁽⁶⁾ وللسورة كلها جو خاص يظللها ويشيع فيها ويتمشى في موضوعاتها وسياق هذه السورة معرض للانفعالات والمشاعر القوية. الانفعالات في النفس البشرية و في نفس الكون من حولها إذ نرى السموات والأرض والجبال تغضب وتنفعل حتى لتكاد تنفطر وتنشق وتهد استنكاراً.⁽⁷⁾

وعموما يسير السياق مع موضوعات السورة في أشواط ثلاثة:

أ-الأول: يتضمن قصة زكريا ويحي وقصة مريم والتعقيب على هذه القصة بالفصل في قصة عيسى التي كثر فيها الجدل واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.
ب-الثاني: يتضمن حلقة من قصة إبراهيم مع أبيه وقومه واعتزاله لملة الشرك وما عوضه الله من ذرية نسلت بعد ذلك أمة ثم إشارات إلى قصص النبيين ومن اهتدى بهم ومن خلفهم من الغواة وينتهي بإعلان الربوبية الواحدة.

ج- الثالث: يبدأ بالجدل حول قضية البعث ويستعرض بعض مشاهد القيامة وينتهي بمشهد مؤثر عميق من مصارع القرون.⁽⁸⁾

ولقد دلت السورة على كيفية نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً مفرقاً ودلالة ذلك في الآية ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.⁽⁹⁾

وقد نزلت في احتباس جبريل عليه السلام إذ يروي سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت ﴿وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ". قال كان هذا الجواب للرسول صلى الله عليه وسلم.⁽¹⁰⁾

ولقد روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «أبطأ جبريل في النزول أربعين يوماً وعن أنس قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أي البقاع أحب إلى الله وأبغض إلى الله؟ فقال: ما أدري حتى أسأل فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه فقال: لقد أبطأت علي حتى ظننت أن ترى علي موجدة فقال ﴿وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أما في نزول الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.⁽¹¹⁾

فقد روى الشيخان عن خباب بن الأثر قال: جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده فقال: لا أعطيك حتى تكفر محمداً فقلت لا حتى تموت ثم تبعث قال فإني لميت ثم لمبعوث فقلت نعم فقال: إني لي هناك مالاً وولداً فأقضيك فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.⁽¹²⁾

أما آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾⁽¹³⁾ فقد أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة؛ فهم شيبة وعتبة ابني ربيعة وأمّية بن خلف فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال: محبة في قلوب المؤمنين.⁽¹⁴⁾

ونجد في سورة مريم أوجه إعجاز القرآن تفصيلاً فمن ذلك بلاغة النظم الإخبار بالمغيبات الماضية والمغيبات المستقبلية والإخبار عن أسماء الله وصفاته وكذلك الإخبار عن الملائكة وأحوالهم وصفاتهم والأمثال المضروبة كما احتل الحوار جانباً كبيراً من السورة.

2- الحوار بين الخالق عز وجل و زكريا عليه السلام.

كانت أول رسالة بعثها نبي الله زكريا عليه السلام إلى ربه عز وجل قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾⁽¹⁵⁾.

إن زكريا عليه السلام ناجى ربه سرا كي يبتعد نهائيا عن الرياء. ورغم أن الجهر والإخفاء عند الله سيان. فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد عن الرياء. وهو أدخل في الإخلاص. وربما أخفاه لئلا يلام على طلب ولد إبان الكبر والشيخوخة.

إن وهن العظم واشتعال الرأس شيئا كلاهما كناية عن الشيخوخة والضعف الذي يعانیه زكريا ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه والدليل على ذلك هو قوله: ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ وهي جملة خبرية خبرا طلبيا مؤكدة بأداة التوكيد إن وما غرضها إلا إظهار غاية الضعف والعجز وهو نداء حذف أدايته وغرضه التوسل والاسترحام ويظهر الوصل جليا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾⁽¹⁶⁾ ولقد تناول البلاغيون الوصل والفصل بكثير من الدقة والاهتمام. وقد عدده بعضهم حد للبلاغة وسراً من أسرارها.⁽¹⁷⁾

والوصل هو عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه⁽¹⁸⁾. فلا انفصال بين الجملتين. وأيضا نرى الذكر في ضمير الياء في (إني) والغرض البلاغي هو زيادة التقرير وكذا التعريف وذلك في قوله تعالى: (الْعَظْمُ) وهو معرف بالألف كما يظهر الإيجاز في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾⁽¹⁹⁾. إذ يقول: الزمخشري «إن هذا إيجاز بدیع الجملة تحولات حدثت لأصل العبارة».⁽²⁰⁾

أما قوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ فقد نسب شرف كبير لها لما تحمله من إعجاز وهي استعارة تفيد معنى الشمول فالشيب قد شاع في الرأس وأخذه من نواحيه وقد استغرقه وعم جملته حتى لم يبق من السواد شيء أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به.⁽²¹⁾

أما قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾⁽²²⁾.

فهو أيضا نداء وقد حذف أداته وما غرضه إلا المبالغة في التضرع والإكثار من المناجاة لله تعالى وقد احتوت هذه الرسالة تقديمًا وتأخيرًا والتقديم ورد في (بدعائك) والتأخير في لفظه (شقيا) وهذا مراعاة للمخاطب جل شأنه وكذا رعاية للفاصلة كما تضمنت الجملة إطنابا وهو الجملة نفسها ودوما يبقى الغرض الرئيس هو الاستعطاف أما قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾⁽²³⁾ فهي كذلك جملة خبرية خبرا طلبيا مؤكدا بـ "إن" وغرضه الاسترحام وهي جملة موصولة بالجملة التي تليها في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ أُمَّرَأَتِي عَاقِرًا﴾ وهي تمثل جملة خبرية خبرًا ابتدائيا و غرضه إبراز سبب عدم الإنجاب وقد تضمنت هذه الرسالة حذفًا والمحدوف نقره (بتبديل الموالى من ورائي) وما الغرض إلا التحقير.

يكمل زكريا قائلا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾⁽²⁴⁾ وهي جملة أمرية غرضها الدعاء والتضرع للمولى عزل وجل أن يهبه الولد. نجد في الجملة نفسها تقديمًا وتأخيرًا والتأخير في لفظة (وليا) والتقديم في (لي) وما غرضه إلا السببية وكذا رعاية للفاصلة وهو نوع من الإعجاز القرآني.

يبين نبي الله زكريا في رسالته التي يبعثها إلى ربه دعاء وتضرعًا واسترحامًا سبب رغبته في الولد قائلا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾⁽²⁵⁾. وكانت رسالة قمة في الإيجاز ولقد حوت حذفًا والمحدوف نقره بـ(نبوتي) أي يرثني نبوتي وقد حذفها النص القرآني ربما لأنها تفهم في السياق يوجد حذف آخر في الآية نفسها ونقدر المحذوف بـ (علم) أي: ﴿يرث من آل يعقوب﴾ ونظن أنها حذفت للعادة السابقة نفسها يكمل زكريا قائلا: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾⁽²⁶⁾ رغبه ولدًا رضيًا وهو فعل أمر (اجعله) وغرضه دوما هو الدعاء والتضرع للخالق تعالى: وقد حذف زكريا عليه السلام حرف النداء من هذا الدعاء (يا) وربما كان للمبالغة وتعظيمًا للمنادى تبارك وتعالى ولقربه من الداعي إذا دعاه.

يستجيب الله عز وجل لعبد زكريا قائلا: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.⁽²⁷⁾

إنها رسالة ربانية بعثها الله لعبد الذي دعاه تضرعا واستعطافا وفي هذه الرسالة منة من الله و إكرام لذكرى إذ جعل اسم ابنه مبتكرا. وللأساء المبتكرة مزية قوة تعريف لمسمى لقلّة الاشتراك إذ لا يكون منه كثيرا مدة وجوده وله مزية اقتداء الناس به من بعد حين يسمون أبناءهم ذلك الاسم تيمنا واستعادة.⁽²⁸⁾

لقد افتتح هذا الكلام ببناء (يا) وكان غرضه التنبيه والتشويق من الملائكة يبشرونه عليه السلام بالولد الذي دعاه وكذا تضمنت ذكرا في (نا) ودوما الغرض هو التعظيم إلا أننا نعتقد أنها قد حوت حذفاً لجملة أو أكثر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾.⁽²⁹⁾ فالعبارة مقول محذوف دل عليه السياق عقب الدعاء إيجازاً أي قلنا يا زكريا وهي جملة خبرية خبراً طلبياً مؤكداً بـ "إن" وغرضه تأكيد الوعد وتحقيقه. أما قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾ فهو خبراً ابتدائياً خال من كل أدوات التوكيد وهو كذلك أمر لذكرى بتسمية الولد يحيى وهو اسم غير معروف قبلاً أما قوله: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾⁽³⁰⁾ فهو أيضاً يؤكد أسبقية يحيى لهذا الاسم وقد حوت تقدماً وتأخيراً فالتقديم في (له) والتأخير في لفظة (سمياً). وربما كان الغرض الاهتمام ورعاية للفاصلة كما نعتقد أن هذه الآية إطناباً. وربما كان الغرض التأكيد.

يتلقى زكريا عليه السلام كلام ربه المبشر له بالورث والذي كان استجابة قريبة بسبب الدعاء وحرارة الرجاء ولكنه يتعجب كل التعجب قائلا: ﴿قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.⁽³¹⁾

هذا كلام زكريا يبعثه إلى ربه. إنه يواجه الواقع شيخ كبير في السن وهن عظمه واشتعل رأسه شيباً. وامرأته عاقرة لم تلد له في فتوته وصباه. فكيف يكون له غلام؟ إنه يريد أن يطمئن ويعرف الوسيلة لي يرزقه الله بها هذا الغلام.

بدأ زكريا كلامه باستفهام (أنى) وغرض التعجب وهو أيضا نداء حذف أداته للمبالغة في الخضوع والتضرع وقد ورد فيها تقدما في قوله (لي) وتأخيرا في لفظة (غلام) وما الغرض إلا الاهتمام وكذا يظهر التقديم في شبه الجملة (من الكبر) والتأخير في لفظة (عتيا) وربما كان الغرض هو التنبيه ورعاية الفاصلة وقد أكد نبي الله زكريا كلامه بـ (قد) التي تزيد في إظهار العجز والاستعطاف الواضح.

يرد الله عز وجل على عبده زكريا بكلام يثبت قدرته تبارك وتعالى قائلا: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾⁽³²⁾ يخبر الله عبده زكريا في قوله (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ) وهي جملة خبرية خبرا ابتدائيا خالٍ من كل أدوات التوكيد أما قوله (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) فقد حوت تقدما في لفظة (علي) و (تأخيرا) في لفظة (هين) و لربما أراد المولى إبراز اختصاصه وتفردَه بالقدرة على الخلق و التي يزيد من تأكدها في قوله (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ) وهو خبر طلبي مؤكد بقدره وغرضه دوماً إظهار القدرة.

بعد هذا الكلام الرباني الذي حاور فيه الله عبده زكريا يسكن الإيمان قلب زكريا عليه السلام و تغمره الرحمة و يتوجه إلى ربه عز وجل بأنه تكون علامة دالة على حمل امرأته إذ يقول زكريا محاورا ربه (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً)³³ أي علامة على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي و يطمئن قلبي بما وعدتني.⁽³⁴⁾

يبدأ زكريا كلامه بأمر (اجعل) و غرضه المسألة و الدعاء فبعدهما دعا زكريا ربه الولد هاهو الآن يدعو الدليل على وجود هذا الولد و في كلام زكريا تلمح حذف أداة النداء و ذلك للاعتناء بالمولى عز وجل و لقربه منه كما يظهر التقديم جلياً في (لي) و التأخير في (آية) و هذا للإلحاح في الدعاء و العجلة في الإجابة.

يرد الله عز وجل على عبده زكريا الذي يحاوره قائلا ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾⁽³⁵⁾.

إنها جملة خبرية خبرا ابتدائيا خاليا من كل المؤكدات بل إنها نهيا عن الكلام البشري و قد حوى كلام الله عز وجل الموجه إلى زكريا ذكرا و موضع الذكر (آيتك) و ربما قصد الخالق الإيضاح فزكريا عليه السلام طلب آية فكان في جواب الطلب (آيتك) مماثلة لما في الطلب (آية).

إنها ختام هذا الحوار الرباني بين الله عز وجل و عبده زكريا عليه السلام و قد كان حوارا مليئا بالمعجزات إذ حوى قصة زكريا عليه السلام و معجزة ولادة المولود من امرأته عاقر و شيخ كبير بلغ من الكبر عتيا.

3- الحوار بين مريم و جبريل عليه السلام:

بعد الحوار الأول في سورة مريم ننتقل إلى حوار آخر لا يقل غرابة و إعجازا عن سابق يقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ (36).

كانت مريم منعزلة منفردة عن أهلها إذ خرجت إلى مكان شرقي و كانت قد اتخذت من أهلها سترا يسترها عنهم و عن الناس و قد ذكر ابن عباس أن مريم صارت بمكان يلي المشرق؛ لأن الله أظلمها بالشمس و جعل لها منها حجابا. (37)

لقد أتاهها جبريل عليه السلام و هي في خلوتها وحيدة في صورة إنسان جميل حسن الهيئة لا عيب فيه و لا نقص فهي لا تحتمل رؤيته على ما هو عليه فلما رآته خافت أن يكون قد تعرض لها بسوء و طمع فيها فاعتصمت برها و استعاذت منه. ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ (39).

كانت هذه بداية حوار مريم مع الملك جبريل عليه السلام و هو كلام غاية في الإيمان و آية في الإعجاز فقد التجأت إلى الله و اعتصمت برحمته أن ينالها بسوء فكما يقول صاحب التيسير لقد جمعت بين الاعتصام برها و بين تخويفه و تهيبه و أمره بلزوم التقوى و هي في

تلك الحالة الخالية و الشباب و البعد عن الناس و هو في ذلك الجمال الباهر و لم ينطق لها بأبي سوء أو يتعرض لها.⁽⁴⁰⁾

افتتحت هذه الجملة بأداة توكيد (إن) و لذلك فهي جملة خبرية خبرا طلبيا مؤكداً غرضه التحذير فهي تحذره من الله و تعتصم به إن كان قد أراد بها سوءاً. وكذا حوت هذه الجملة تقديماً في لفظة الجلالة (الرحمن) و لعل التقديم و التأخير صفة في الجمل القرآنية الملكية فهي التي تناسب فكرة الدعوة الأولى فالفكر الجاهلي كان بحاجة ماسة إلى التنبيه من غفلته و لعل مريم قدمت لفظ الجلالة (الرحمن) تعظيماً للمولى عز وجل.

أحس جبريل خوف مريم و روعها الشديد فرد عليها قائلاً ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾⁽⁴¹⁾

ما أنا إلا ملك مرسل من الله إليك لأهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب فجملة (إنما أنا رسول ربك) جملة قصر و طريقه إنما كما حوت هذه الجملة ذكراً والذكر (أنا) و ربما كان هذا الذكر لبسط الكلام. أيضاً ذكرت لفظة رسول و ربما كان ليعرف عليه السلام بنفسه و أيضاً لتستأنس به و ينزع عنها الشك. و رغم أنها بشارة عظيمة بالولد الزكي الطاهر النقي من الخصال الذميمة إلا أنها و في نفس الوقت بشارة عجيبة ولادة من غير أب؛ لذا فهي تستغرب و تستفسر متسائلة إلى جبريل قائلة ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا ﴾⁽⁴²⁾

فكيف يكون لي غلام و على أي صفة يوجد و لست بذات زوج حتى يأتيني و لست بزانية إن حوار مريم حوار يحكمه منطق العقل و الواقع فيستحيل أن يولد ولد من غير أب في رأي مريم بل و في رأي العالمين إلا أنه أمر يسير هين على الخالق عز وجل و هي جملة استفهامية افتتحت بحرف الاستفهام (أنى) و غرضها الرئيس إظهار التعجب من

هذا الأمر الخارق و قد تضمنت تقدما في (لي) و تأخيرا في لفظة (غلام) و ربما كان هذا للاهتمام.

يظهر الحذف جليا في الجملة مدا الدراسة والمحذوف هو (النون) من (أك) وربما الغرض هو التخفيف و مراعاة لسياق السورة كما نلاحظ إطنابا في (لَمْ أَكُ بَعِيًّا) و ربما كان الغرض الرئيس هو التأكيد على النزاهة.

يرد جبريل عليه السلام محاوراً مريم راداً على سؤالها قائلاً ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَائِي هَيْنَ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾⁽⁴³⁾ يؤكد جبريل كلامه لمريم و يضيف أن هذا المولود سيكون علامة للناس على قدرة بارئهم و خالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق أباهم ادم من غير ذكر و لا أنثى و خلق حواء من ذكر بلا أنثى و خلق بقية الذرية من ذكر و أنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته و عظيم سلطانه.⁽⁴⁴⁾

كان رد جبريل هو آخر كلام في الحوار الدائر بين مريم و جبريل عليه السلام و قد كانت رسالة مواساة و اطمئنان تواسي مريم في وحدتها.

إنها جملة حوت أكثر من حذف فالحذف الأول هو (هو الأمر) كذلك هو الأمر و قد جرى الحذف ربما لضيق المقام لأن الخطاب عن طريق الوحي.

أما الحذف الثاني فتقديره (الأمر) و كان الأمر أمراً مقضياً و ربما هذا الحذف يفهم من السياق تضمنت أيضا (ذكرا) و الذكر في الضمير (هو) و ربما كان ذلك للإيضاح و كذا نعتقد أن (هين) أيضا تمثل ذكرا و ربما لإفادة الثبوت على قدرة الله تعالى و كل من (هو و هين) معرفين و ربما نعتقد أن ذلك لإبطال التعجب.

و أيضا فيها إطناب و الإطناب في قوله ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾ و الغرض من ذلك هو التنبيه.

و لقد أغفل السياق القرآني الحديث عما كان بعد هذا الحوار و هناك من قال أن " جبريل نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها فحملت به و تنحت إلى مكان بعيد عن أهلها خشية أن يعيروها بالولادة من غير زوج".⁽⁴⁵⁾

و هاهي ذي مريم بعد الحمل صارت وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة ثم هي تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية إنها بمواجهة المخاض الذي أجاءها إجابة إلى جذع النخلة و اضطرها اضطرابا إلى الاستناد عليها و هي وحيدة تعاني حيرة العذراء في أول مخاض لها و لا علم لها بشيء و لا معين لها في شيء؛ لذا صارت تحدث نفسها و تمنى الموت.

إنه حوار داخلي مع نفسها إذ تقول: ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَسِيًّا ﴾⁽⁴⁶⁾ إنه حوار داخلي فجره الألم الجسدي و القلق النفسي و الخوف من العار. كيف يتقبل المجتمع ولداً بلا والد و من مريم العابدة الناسكة فلا شك أن هذا المجتمع لن يرحمها و سينظر إليها نظرة الفسق إنه تمن و أداته (ليت) و التمني هو: " تشهي حصول الأمر المرغوب فيه و حديث النفس لما يكون و ما لا يكون و تمنى الشيء أي قدره و أحب أن يصير إليه".⁽⁴⁷⁾

و هو التمني الوحيد الذي في سورة مريم و غرضه حصول أمر محبوب لا يرجى حصوله لفوات أوانه و لكونه مستحيلا و هو وفاتها و انقطاع ذكرها و أثرها بين أهلها قبل هذا الوقت.

إنه تمن بسبب الكرب الذي هي فيه لذلك تمت الموت استحياء من الناس و خوفا من لومهم لها و كما يرى سيد قطب نحسن من خلال تمني مريم اضطراب خواطرها و نلمس مواقع الألم فيها.⁽⁴⁸⁾

4- الحوار بين مريم و عيسى عليه السلام:

بعد تمنى مريم الموت بعث لها ابنها أول خطاب بل أغرب حوار وخطاب على وجه البسيطة قال تعالى: ﴿فَتَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُرِّي إِلَيْكَ بِجُذَعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَيْرًا مِنَّا وَاشْرِي وَفَرِي عَيْنًا فَمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾⁽⁴⁹⁾

و لقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: (من تحتها) إذ يقول ابن كثير: «قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذي تحتها وقرأ الآخرون من تحتها على انه حرف جر و اختلف المفسرون أيضا في المراد بذلك من هو؟ فقال بعضهم إنه جبريل عليه السلام»⁽⁵⁰⁾ في حين يرى سيد قطب أن نادها من تحتها المقصود به هو عيسى عليه السلام.⁽⁵¹⁾

إنه كلام عيسى إلى والدته مريم لكي يخفف الآمها و يواسيها و يرشدها إلى الحل الذي يخرجها من المأزق التي هي فيه إذ يخبرها بأن الله عز وجل قد جعل تحتها جدولا من الماء جرى للحظة من الينبوع و هذه النخلة التي تستندين إليها هزيمها فقط فتساقط عليك رطبا فهذا طعام و ذاك شراب فكلي و اشربي و قري عينا و اطمئني قلبا.⁽⁵²⁾

إنه كلام أو حوار محير لمريم جداً و ليدها الذي ولد للحظة يخفف الآمها و أحزانها و يدلها على الطعام و الشراب و ليس هذا فقط بل و حتى يخبرها كيف تواجه قومها و كيف ترد على اتهامهم لها فإذا واجهت أحداً تعلنه أنها نذرت للرحمن صوماً عن حديث الناس و انقطعت إليه للعبادة فلقد كانت عندهم في شريعتهم أنهم إذا صاموا حرم عليهم الطعام و الكلام و إذا صامت هي عن الكلام فقد سلمت أمرها إلى الله و استسلمت لقضائه.

افتتح هذا الكلام بنهي نهي عيسى عليه السلام والدته عن الحزن الذي هي فيه إنه يريد تسليتها و التخفيف من الآمها و يبرز و يبين لها الأشياء التي تسليها و أولها الجدول الذي تحتها في قوله ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾⁽⁵³⁾.

و هي جملة خبرية خبرا طلبيا مؤكدا ب(قد) و دوماً غرضه التسلية و المواساة ثم تتوالى الأوامر من عيسى عليه السلام إلى والدته و بأمور كلها غاية في المواساة و أول أمر

هو قوله تعالى: ﴿ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِيَجْزَعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾⁽⁵⁴⁾ إنه أمر غرضه التفويض إلى أمر الله أما الأمر الثاني فهو قوله فكلي و اشربي و قري عينا. إنها أفعال أمرية ﴿ الأكل ثم الشرب ثم تقر عينا ﴾ كلها أوامر من عيسى إلى والدته و طبعا بقصد إكرامها و تقويتها من التعب الذي لاقته في المخاض.

يوصل عيسى عليه السلام في المواساة و هذا المرة بإيجاد المخرج من الكرب الذي هي فيه إذ يقول: ﴿ فَأَمَّا تَرِيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾⁽⁵⁴⁾

تفتح هذه الآية بشرط و هي جملة خبرية خبراً إنكارياً مؤكداً و غرضه تثبيت مريم عند مواجهتها قومها يكمل أيضا سلسلة الأوامر في قوله تعالى: (فقولي) و هو فعل أمر و غرضه تنفيذ أوامر الله فريم مأمورة من الله عز وجل عن طريق عيسى عليه السلام ألا تكلم أحداً ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ و لقد تضمنت هذه الجملة تقدماً في لفظه (للرحمن) و تأخيراً في لفظه (صوماً) و ربما كان هذا لتعظيم الخالق عز وجل و هو خبر طلبي مؤكداً للمستقبل.

هكذا ينتهي خطاب عيسى عليه السلام لأمه الذي هدأ من روحها وواساها في حزنها و خفف الألمها و بين لها كيف تواجه قومها عند التهمة لها بالفسق.

الحوار بين مريم و قومها:

بعدها تلقت مريم الأوامر والنصائح من مولودها الجديد حملته واتجهت إلى قومها فكانت أول حوار قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهَا قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴾⁽⁵⁵⁾.

هذه هي فاتحة حوار مريم و قومها و كان كلام القوم كله عتاب و لوم و تهكم بمریم التي عرفت عنهم بالصلاح و العبادة و العفة و ها قد جاءت شيئاً عظيماً يا أخت هارون في

الصلاح و الزهد ما كان أبوك رجلاً فاجراً و ما كانت أمك زانية فكيف صدر منك هذا و أنت من بيت طيب طاهر.

افتتح هذا الحوار ببناء (يا) يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً و غرضه الحقيقي التهمك و هو خبر إنكاري مؤكداً يهدف إلى التوبيخ.

يوصل النداء أيضاً في قوله تعالى: (يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ). و هو تهكم و توبيخ.

تلقت مريم خطاب قومها و كلها ثقة في الله و في نفسها و لم تجب لأنها نذرت للرحمن صوماً و إنما أشارت إليه (فأشارت إليه) و لقد أولى البلاغيون العرب الإشارة أهمية كبرى لما تحمله من توضيح للمعاني و تبين لها «فأما الإشارة فباليد و بالرأس و بالعين و الحاجب و المنكب إذا تباعد الشخصان و بالشوب و بالسيف و قد يتهدد رافع السوط و السيف فيكون ذلك زاجراً و رادعاً و يكون وعيداً و تحذيراً»⁽⁵⁶⁾.

فأمام هذا الموقف الحاسم تشير مريم إلى عيسى إشارة هاهو كلموه و خاطبوه إنه جواب أو حوار عن طريق الإشارة و لقد كانت إشارة بليغة لذلك فهمها و عقلها قومها و الدليل على ذلك قولهم و ردهم على الرسالة إذ قالوا: ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾⁽⁵⁷⁾.

و لقد بلغ بهم الغضب مبلغاً كبيراً فبعد اتهامها لها بالفاحشة تأتيمهم بأمر لا يقل خطورة و هو إشارتها للمولود بان يكلموه.

كان خطاب قوم مريم كله استغراب و تعجب كيف يكلمون طفلاً رضيعاً لا يزال في السرير يغذى بلبان أمه و لقد روي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع و أقبل عليهم بوجهه و كلمهم ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان.⁽⁵⁸⁾

و كلام القوم جملة استفهامية وأداة الاستفهام هي (كيف) و غرضها التعجب و الإنكار مما تدعوهم إليه مريم.

5- الحوار بين عيسى وقومه:

بعد تهكم قوم مريم يرد الوليد قائلاً ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا﴾⁽⁵⁹⁾

أول كلام عيسى يقر فيه عبوديته لله و خضوعه لأمره فليس هو ابنه كما ترى بعض
الفرق يعلن فيها أيضا أن الله قد جعله نبيا لا ولدا ولا شريكاً وقد بارك فيه كما أوصاه بالزكاة
والصلاة مدة حياته كما أوصاه ببر والدته و التواضع مع عشيرته وقد من الله عليه بالسلام
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

أول ما افتتح به هذا الخطاب هو خبر طلبي مؤكد (بان) وغرضه لازم الفائدة وإعلام
قومه بأنه عبد الله لا غير.

أما بقية الآيات فكلها أخبار ابتدائية خالية من كل أدوات التوكيد و غرضها الإخبار
أما قوله (أين ما كنت) فرمما كان إطناباً و غرضه التعميم أي في كل مكان.
ورد التقديم في قوله (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) و المقدم
هو لفظ (السلام) و ربما كان ذلك لتعجيل سرور عيسى عليه السلام.

6- الحوار بين إبراهيم وأبيه:

اختار إبراهيم عليه السلام في حوارهِ مع والده أسلوباً مؤدباً كل الأدب غاية في
اللطف إذ يقول: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا
أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ
الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾⁽⁶⁰⁾

لقد كان إبراهيم وديعاً حليماً في ألفاظه سلساً في تعبيراته لينا في تصرفاته و مواجحته للجهالة من أبيه حتى في الألفاظ اختار أرقها؛ فقد استعمل لفظ (أبت) المليئة بالحنان وكان في كل مرة يكررها وهذا قمة البر والأدب وكل حواراته وكل جملة من الكلام بدأها بحرف نداء (يا) (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر) وهو نداء غرضه لفت الانتباه والتوسل والاستعطاف كما يعد استفهاماً غرضه الإنكار.

نلمح النداء أيضاً في قوله (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) وربما كان غرضه النصح والإرشاد والتوجيه إلى الطريق السوي بعد هذا النصح يتوجه إبراهيم عليه السلام إلى التحذير فيقول (يا أبت لا تعبد الشيطان) وهو أيضاً نداء غايته التحذير يواصل عليه السلام تحذيره والده في قوله ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ وهو أيضاً نداء غرضه التحذير من سوء العاقبة.

إضافة إلى هذه السلسلة من النداءات نجد الإخبار فقد ورد الخبر إنكارياً في قوله: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ وهو للفائدة والإخبار أما قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ فهو خبر طلبي غرضه التحذير يأتي الأمر في قوله ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ وما غرضه إلا النصح الغرض نفسه نجده في قوله ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ وهو نهي يهدف إلى الإرشاد مع احتقار و تقليل شأن الشيطان.

كما كان الحذف موجوداً و تقدر المحذوف بـ (لا يَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا يُبْصِرُ شَيْئًا) وربما حذف لأنه يفهم من السياق وكذا الحذف في قوله ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ وتقدر المحذوف بـ (مثله) أي قد جاءني من العلم ما لم يأتك مثله وربما حذف لأنه يفهم من لفظة العلم الأولى. يظهر الإطناب في قوله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ وربما ذلك لتمكين الإيمان في نفس والده.

بعد هذا الكلام الوديع الناصح ماذا كان جواب الأب المتجبر؟ لقد كان جواب تهديد ووعيد بالرجم إن لم يكف إبراهيم عن هذه المجادلة المبنية على الرحمة والعطف والشفقة من قبل ابنه وطلب منه أن يتعد عنه و يهجره بعيداً بقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ

تنته لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٦١﴾ بدأ والد إبراهيم كلامه باستفهام و أداته الهمزة (أراغب؟). وهو استفهام غرض التعجب و الإنكار فوالد إبراهيم يتعجب وينكر عن إبراهيم صده عن عبادة الأصنام كما تضمنت الجملة حذفًا وبقدر المحذوف بـ (عبادة) أراغب أنت عن عبادة آلهي و ربما حذف لأن المعنى واضح.

أما قوله ﴿لَبِن لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ فهو خبر إنكاري مؤكد و غرضه التهديد وقد تضمن معنى القسم ﴿أَقْسِمُ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ و غرضه دومًا التهديد و الوعيد. بعد هذه السلسلة من التهديدات يأتي فعل الأمر (اهجرني) الذي يرمي إلى الزجر. بعد هذا التأنيب و هذه القسوة تأتي آخر حلقة من هذا الحوار؛ إذ يرد سيدنا إبراهيم قائلاً:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾. (62)

افتتح إبراهيم كلامه بالسلام ثم أردف أنه سيستغفر له ربه وهي جملة خبرية خبرًا طلبياً مؤكداً (بالسين) و غرضها الوعد والاستلطاف يواصل التأكيد في قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ وهي أيضاً جملة خبرية خبرًا طلبياً يفيد فائدة الخبر أما قوله ﴿وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فهي جملة ابتدائية خالية من كل أدوات التوكيد ونجد جوابه تضمن رجاء ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ورغم أنه رجاء ألا يعود الدعاء عليه بالشقاء بسبب استغفاره لأبيه إلا أننا نلمح فيه لمسة تمن ولقد جاءت عسى للرجاء في تضمينها معنى التمني إنه دعاء نبي و تواضع لله بـ(عسى) والرجاء في اللغة هو: "بمعنى التوقع والأمل وقد يكون بمعنى الخوف". (63) والرجاء هو: "مصطلح لطلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع". (64) وله حرف هو (لعل) و فعل جامد هو (عسى) لذا استعمل إبراهيم عليه السلام (عسى) لأنه يرجو من ربه أن يغفر لأبيه و يستجيب لدعائه.

كان هذا ختام الحوار الدائر بين إبراهيم عليه السلام ووالده و هو آخر حوار في
السورة مدار البحث.

الهوامش و المراجع

- (1)- ينظر محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، دار سخون للنشر و التوزيع، تونس، (دط)، (دت)، ج1، ص33.
- (2)- ينظر: إدريس أوها، أسلوب الحوار في القرآن الكريم (الموضوعات و المناهج و الخصائص) وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المكتبة المغربية، (دط)، 2005، ص5.
- (3)- النحل 125.
- (4)- منيرة محمد ناصر الدوسري، أساء القرآن و فضائلها، دار ابن جوازي للنشر و التوزيع، السعودية، ط1، 1426، ص261.
- (5)- ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج2، ص210.
- (6)- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج16، ص58، 59.
- (7)- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط15، 1998، مج4، ص2300.
- (8)- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2301.
- (9)- مريم، 64.
- (10)- النيسابوري، أسباب النزول و بهامشه الناسخ و المنسوخ، تخ/أبو القاسم عبد الله بن سلامة أبي النصر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، 226،
- (11)- مريم 77.
- (12)- مريم، 77.
- (13)- مريم /96.
- (14)- السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، تخ/محمد محمد تامر، دار المقطم للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط2008، 1، ص150/149.
- (15)- مريم، 3-6.
- (16)- مريم، 4.
- (17)- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص170.

- (18)- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص151.
- (19)- مريم، 4.
- (20)- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص502.
- (21)- ينظر: محمد كريم الكواز، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 63.
- (22)- مريم 4.
- (23)- مريم 5
- (24)- مريم 5
- (25)- مريم 6.
- (26)- مريم 6
- (27)- مريم 7.
- (28)- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج16، ص 69.
- (29)- مريم 07.
- (30)- مريم 07.
- (31)- مريم 08.
- (32)- مريم 09.
- (33)- مريم 10.
- (34)- ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 107.
- (35)- مريم 10.
- (36)- مريم 16-18.
- (37)- الطبري، جامع البيان، ص60.
- (38)- عبد الرحمن بن تامر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص524.
- (39)- مريم 18.
- (40)- عبد الرحمن بن تامر السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص524.
- (41)- مريم 19.
- (42)- مريم 20.
- (43)- مريم 21.

- (44)- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 109.
- (45)- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 214.
- (46)- مريم 23.
- (47)- إبراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، ج2، ص 896.
- (48)- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2306.
- (49)- مريم 24-26.
- (50)- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 110.
- (51)- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2307.
- (52)- ينظر: نفسه، ص نفسها.
- (53)- مريم 24.
- (54)- مريم 26.
- (55)- مريم 27-28.
- (56)- الجاحظ، البيان و التبيين، ص 56.
- (57)- مريم 29.
- (58)- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 215.
- (59)- مريم 33.
- (60)- مريم 42-45.
- (61)- مريم 46.
- (62)- مريم، 47-48.
- (63)- ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 289-290.
- (64)- احمد مطلوب، البلاغة العربية، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي بغداد، ط1، 1980، ص 86.